

شعر

سوف أقتلك أيها الموت

قصيدة بصرية

سامر أبو هُوّاش

لا - بيان من أجل لا - قصيدة

كتبْتُ هذه القصيدة تحت وطأة ما يشهده العالم العربي من أعمال قتل مجانية، يومية والهاجس عندي كان تكرار آلية هذا القتل المجاني وكسره في آنٍ معاً بأفعال الحياة اليومية وصورها، ثم معاودة كسر هذه الأفعال والصور بوصفها تغدو معدومة القيمة أمام آلة القتل الجهنمية هذه، وهكذا دواليك من دوران عبثي، لانهايتي، ومعه الدوران في اللغة نفسها... «الشعب يريد إسقاط النظام»، شعار أو تعويذة سحرية، كما في حلم لا نتذكر بدايته، لن نتذكر على الأرجح أول صوت هتف بها، إلا أن شوارع عربية كثيرة ضجّت بهذه العبارة المفتاحية، البسيطة والبلغية في آن، التي اختزلت في وقت واحد غضب الثائرين وسأمهم وأحلامهم، يأسهم وتصميمهم أيضاً.

لكنّ هذا «الشعب» (هذه الشعوب) هو أيضاً، وربما للمرة الأولى في تاريخنا المعاصر، ليس إلا مجاميع الأفراد الذين يتشكل منهم، فلم يعد تلك الكتلة الصماء التي يحركها

«القائد» أو «الزعيم» بكلمة أو خطاب، بل بات كل فرد تَوَاق إلى فسحة من الضوء بعد عقود وعقود من الظلام.

هكذا، ربما لن يخفى على قارئ هذه القصيدة أنني عمدت - في اللعبة الشكلية، لعبة المرايا البصرية التي حاولت إنتاجها في هذه القصيدة، محاولاً أن أعكس طغيان العنصر البصري في هذه الثورات، وفي محاولات قمعها على السواء - إلى تحويل عبارة «الشعب يريد إسقاط النظام» إلى «الولد والبنت والرجل والمرأة» وأضفت طبعاً التمثال الواضح مغزاه والواضحة أيضاً مجانية حضوره على ما سعيت إليه على الأقل.

س.هـ

دائماً اللحظة نفسها:

أحدهم يخرج من الباب.

البابُ خشبيٌّ، قديم.

البابُ، لسبب ما، يرشحُ ماءً

أو نظرات

أصواتاً

أو سحباً قديمة.

ولدٌ.

أحدهم يخطو بين الباب والباب

ويبقى كذلك

ليس أكثر من هنيهة واحدة.

بنتٌ.

هنيهة^٨

تترىُّ عند الباب

مَن كان يحسبُ أن ثانية واحدة
يسعها أن تدومَ
عمرًا كاملاً؟

رجل^٨.

هنيهة^٨ واحدة.

تترىُّ عند الباب .

لا نعرفُ، أهمسُ أم عواء،
أم أنه ما يراودُ الأمَّ في النوم
الذي ليس نوماً
فتفزعُ إلى الليل
الذي هو الربِّ
وليس الربِّ،
إلى الفجر
الذي هو الملاك
ولا ملاك .

امرأة^٨.

كأن أيادي بعيدةً تلوحُ بالمناديل .

أراهم
يقفزون
في
أصواتهم.

ولد.
بنت.
رجل.
امرأة.

هنيهة تقف عند الباب
الماكر الذئب الحنين
يتقن الحفر في جلد اللحظة.

تنهض بلا نهوض. جسدٌ يسيلُ من
البلازما. دمٌ يهطلُ من النبتة واللوحه.
أخطاءُ اللحظة! أخطاءُ اللحظة! فلتتكلم
الستارة الآن. فلينطق المرعب في نسيح
الكنبة. في شرايين السقف. ظاهرُ
المسألة: دمٌ يجري في الشوارع. ظاهرُ
السؤال: من يحكمُ هذا الغبار؟ لا سلطة
لي على الهواء. لا كلمة لي على الليل.
لأبعثر المبعثر، لأحطم المحطم. لا كلمة
لي على الليل. القمرُ معلقٌ بين أسنان
قتلة غابرين. كثافة الأشياء: قبلة تمتصُّ
الشعاع، لأنه الضمأ الكبير إلى الصباح،
إلى الغيمة التي توبخ اليد من أجل إيماءة
غامضة. القبضات العارية: مستنون
يولدون في الحجرات. لا يكفي الحب يا

ولد.
بنت.
رجل.
امرأة.
تمثال.

حبيبتي . تحتاجُ هذه الوردة إلى حفنة من
الشمس لتصدّقَ يدَيك . أتقلّبُ على
السريّر .

روحي تصرخُ بك : أنا المشتّتُ ، المتفرّقُ ،
الممزّقُ . . . عليك أن تجمعني روعي الآن .
ولو في كوب . ولو في إناء .

تنهضُ بلا نهوض . تفكّرُ في تلك
الثقوب السود . تغرقُ في تلك الثقوب
السود . تفركُ يداً بيد ، يداً بحجر ، يداً
بشجرة . شجرة بشجرة . لا العصافيرُ
تقودك من العتمة ، ولا الظلالُ تحمي
شبحَ نومك الطويل . تصرخُ في الغرباء :
يا أيها الغرباء ! تصرخُ في الموتى : يا أيها
الموتى !

أشلاءُ أسماء تسيّلُ من المرايا صرخاتُ
حالمين تنهمرُ على الزجاج . في الخارج
ضبابٌ كثيفٌ ينبحُ لغاته السريّة العالية .

ولدٌ - بنتٌ .
ولدٌ - بنتٌ - رجلٌ .
ولدٌ - بنتٌ - رجلٌ - امرأةٌ .
ولدٌ - بنتٌ - رجلٌ - امرأةٌ - تمثالٌ .

ولدٌ: في عينيه عالمٌ يجري .
بنتٌ: في عينيها عالمٌ يقفز .

ولدٌ .
بنتٌ .
ولدٌ – بنتٌ .
ولدٌ – ولدٌ .
ولدٌ يأكل .
ولدٌ يشرب .
ولدٌ يقفز .
ولدٌ يجري .
ولدٌ سريرٌ .
ولدٌ صندوقٌ .
ولدٌ خزانةٌ .
ولدٌ تابوتٌ .
ولدٌ ملاءةٌ .
ولدٌ أمامَ التلفزيون .
ولدٌ أمامَ الشاحنة .
ولدٌ أمامَ اللوحة الإعلانية .
ولدٌ أمامَ التمثال .
ولدٌ أمامَ أطياف التمثال .
ولدٌ أمامَ جنون التمثال .
ولدٌ أمامَ اللاشيء .
ولدٌ أمامَ كل شيء .
ولدٌ أمامَ الطاولة .

ولدٌ أمام المغسلة .
ولدٌ أمام عدسة .
ولدٌ تحت مائدة .
ولدٌ في الصف .
ولدٌ في الطابور .
ولدٌ في النشيد .
ولدٌ في الشهيد .
ولدٌ في الملصق .
ولدٌ في « الجزيرة » .
ولدٌ في « اليوتيوب » .
ولدٌ على السطح .
ولدٌ في الزاروب .
ولدٌ أمام الحاجز .
ولدٌ تحت الحاجز .
ولدٌ أمام الدبابة .
ولدٌ تحت الدبابة .
ولدٌ في المسجد .
ولدٌ في الأذان .
ولدٌ في المازوت .
ولدٌ في الحليب .
ولدٌ في الرغيف .
ولدٌ في السوق .
ولدٌ في الدم .
ولدٌ في قطرات الدم .
ولدٌ في حجرات الدم .

ولدٌ في خزانات الدم .
 ولدٌ في أول العالم .
 ولدٌ في آخر العالم .
 ولدٌ في روحه .
 ولدٌ في مآتم روحه .

نجهلُ
 أسماءكم
 أيها
 الموتى .

ولدٌ .
 بنتٌ .
 رجلٌ .
 امرأةٌ .

جسدٌ يسيلُ من البلازما . تتخيَّلُ
 كائناتٍ من قطن . قواربُ من ماء . عيونٌ
 ميتة . عيونٌ كثيرةٌ ميتةٌ تحملقُ بك .
 عيونٌ كثيرةٌ تنشبُ أظافرها في جلد
 روحك . عيونٌ كثيرةٌ حتى إنها تصيرُ
 واحدة .
 كثيرةٌ حتى إنها تتلاشى . كم شائكٌ
 دربك أيتها الدمعة!
 كم جارحٌ صوتك أيها النهر!

ولدٌ - بنتٌ .
 ولدٌ - بنتٌ - رجلٌ .
 ولدٌ - بنتٌ - رجلٌ - امرأةٌ .
 ولدٌ - بنتٌ - رجلٌ - امرأةٌ - تمثال .

ولدٌ: في عينيه عالمٌ يجري .
بنتٌ: في روحها عالمٌ يقفز .

ولدٌ . بنتٌ . بنتٌ - ولدٌ . بنتٌ - بنتٌ . بنتٌ في غرفة . بنتٌ في سماء . بنتٌ في ربيع . بنتٌ في خريف الربيع . بنتٌ في شتاء الربيع . بنتٌ في عتمة . بنتٌ في شارع . بنتٌ في صرخة . بنتٌ في أغنية . بنتٌ في دعاء . بنتٌ في رجاء . بنتٌ أمام التمثال . بنتٌ أمام نظرات التمثال . بنتٌ أمام سحرية التمثال . بنتٌ في اللا يأس . بنتٌ في اللا أمل . بنتٌ في الرقم . بنتٌ أمام شاشة . بنتٌ أمام سبابة . بنتٌ في انتظار . بنتٌ في غيمة . بنتٌ في حب . بنتٌ بلا صرخة . بنتٌ بلا لسان . بنتٌ بلا وجه . بنتٌ في السوبرماركت . بنتٌ في رائحة الصيف . بنتٌ في اللا محكي . بنتٌ في اللا مرئي . بنتٌ في اللا مجدول . بنتٌ في اللا مطرر . بنتٌ في المعنى . بنتٌ تحت قمر . بنتٌ في بيت السلم . بنتٌ على السطح . بنتٌ في اللا بيت . بنتٌ في اللا شارع . بنتٌ في صورة . بنتٌ في حكاية . بنتٌ في الدم . بنتٌ في حفلة الدم . بنتٌ في «أورجي» الدم . بنتٌ في حقول الدم . بنتٌ في شوارع الدم . بنتٌ في آخر العالم . بنتٌ في أول العالم . بنتٌ في روحها . بنتٌ في مآتم روحها .

من ديوان يصدر قريباً بعنوان «سوف أقتلك أيها الموت»

